كتاب الشعب

مقدمة ابن خلدون

من كثب

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Ansiklopedisi
Kütüphanesi
Kayıt No : 921
Tasnif No. : 301
HAL-M

دار الشعب
٩٩ شارع قصر العيني القاهرة ت: ٣١٨٤

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

بين يدى هذه الطبعة من مقدمة ابن خلدون

الفيلسوف المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ومقدمته أشهر وأعظم من أن نحاول التعريف بهما أو تقديمهما للقارئ . ومن ثم تقدم هذه الطبعة من المقدمة مستقيمة النص ، محررة العبارة فى أقرب صورها إلى الحال التى كانت عليها يوم كتبها ابن خلدون .

ولكى نعين القارئ على الإحاطة بها : نقدم بين يديه جلاء ما قد يشق عليه دركه من أسماء البلاد والأماكن التى حفلت بها المقدمة وخاصة فى الجزء الأول منها . كما نتبعها إن شاء الله ببيان آخر يضم نبذاً عن الأعلام ، والرجال الذين ذكرهم ابن خلدون ، أو عرض لحديثهم ، مع الفهارس التحليلية الشافية . ولعلنا بهذا نكون قد يسرنا لجماهير المثقفين أن تفيد من علم ابن خلدون ، وأن تطالع بعض جوانب فكره الثاقب العظيم وفيما يلى بيان أهم الأماكن التى ورد ذكرها فى المقدمة :

آبِل : بالكسر ، اسم لأربعة مواضع منها : آبل القمح من نواحى بانياس من أعمال دمشق ؛ وآبل السوق قرية كبيرة فى غوطة دمشق ، وآبل من قرى حمص بينها وبين حمص نحو ميلين وغيرها .

آمِد : بكسر الميم ، أعظم مدن ديار بكر ، وأجلها قدراً ، وأشهرها ذكراً ، افتتحها المسلمون سنة عشرين من الهجرة بعد فتح الجزيرة على يد عياض بن غنم ، وينسب إليها طائفة من العلماء منهم الحسن بن بشر الآمدى صاحب الموازنة بين أبى تمام والبحترى .

آمُل : بالضم أكبر مدينة بطبرستان فى السهل ، وقد خرج منها طائفة من العلماء ، لكنهم ينسبون إلى طبرستان ، فيقال : الطبرى ، ولا يقال : الآملى .

الأُبُلَّةُ : على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة ، وهى أقدم منها لأن البصرة مصرت فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكانت الأبلة يومئذ مدينة .

الأَحْساءُ : مدينة بالبحرين معروفة ، أول من عمرها وجعلها عاصمة هجر : أبو طاهر الجنانى القرمطى ، وثمة أكثر من مكان بهذا الاسم فى طريق مكة وغيره .

أَذْرِعَات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، وتنسب إليه الخمر .

أَرْبُونة : فى طرف الثغر من أرض الأندلس ، وبينها وبين قرطبة نحو ألف ميل .

أَرَّجَان : وعامة العجم يسمونها أرغان ، مدينة كبيرة كثيرة الخير ، كان أول من أنشأها قباذ بن فيروز والد أنوشروان لما استرجع الملك من أخيه جاماسب .

أَرْحَب : بخلاف باليمن سمى بقبيلة كبيرة من همذان وإليه تنسب الإبل الأرحبية ، وقيل : على ساحل البحر ، بينها وبين ظفار نحو عشرة فراسخ .

أَسْتَرَابَاذْ : من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان ، أخرجت كثيراً من أهل العلم فى كل فن ، منهم أبو نعيم الاستراباذى أحد الأئمة فى علوم الحديث .

أَسْفَرَايِينِ : بلدة حصينة من نواحى نيسابور على منتصف الطريق من جرجان ، واسمها القديم مهرجان ، وينسب إليها الأسفراييني الحافظ المصحح على كتاب مسلم .

أَسَفِى : بلدة على شاطئ البحر المحيط بأقصى المغرب .

أَشْرُوسَنَةَ : بلد كبير فيما وراء النهر من بلاد الهياطلة من سيجون وسمرقند ، وينسب إليها بعض أهل العلم مثل أبى طلحة بن نصر الأشروسنى وغيره .

إِصطَخْر : من أعظم حصون فارس ومدنها ، ويقال إن أول من أنشأها هو إصطخر بن طهمورث ملك الفرس ، وينسب إليها كثير من العلماء . منهم الاصطخرى الجغرافى الشهير .

أَغْمات : ناحية فى بلاد المغرب قرب مراكش ، كثيرة الخير ، وفيرة الخصب .

أَقْرِيطشس : جزيرة فى البحر تقابلها ليبيا من البر الأفريقى ، أخذ المسلمون فى فتحها على أيام معاوية ، ثم فى خلافة الرشيد ، ثم فى خلافة المأمون .

أَنْطَرْطُوس : بلد من سواحل بحر الشام ، وهى آخر أعمال دمشق ، وأول أعمال حمص . قيل إن الذى فتحها عبادة بن الصامت سنة ١٧ هـ بعد فتح اللاذقية ، وينسب إليها طائفة من المحدثين والعلماء .

الأَنْكَبُرْدَة : بلاد واسعة فى شمال البحر المتوسط ، بين القسطنطينية والأندلس .

الأَهْوَاز : كورة بين البصرة وفارس ، وأصلها بالعربية الأحواز بالحاء ، واسمها الفارسى القديم خوزستان ؛ وقيل هوزمشير .

أَوْلِيل : إحدى مدن المغرب على نحر البحر — كما يقول ياقوت — وهى معدن الملح ببلاد المغرب ، وبينها وبين لمطة — معدن الورق — خمسة وعشرون ميلا .

إِيلاَن : موضع قرب مراكش ورد ذكره كثيراً فى حروب عبد المؤمن بن على .

بَاجَبَّارة : قرية فى شرقى مدينة الموصل على نحو ميل ، وكان نهر « الخوسر » يمر قديماً تحت قناطرها .

بَارِى : قرية من أعمال كلواذ فى نواحى بغداد كانت ذات بساتين يقصدها أهل البطالة ، وفيها يقول الحسين ابن الضحاك :

أحب الحسن من نخلات بارى ... وجوسقها المشيد بالصفيح

بِجَايَة : مدينة على ساحل البحر بين أفريقية ، وكان أول من اختطها الناصر بن علناس حوالى سنة ٤٥٧ هـ وتسمى الناصرية أيضاً باسم بانيها .

بحر فارس: الخليج العربى الآن .

بحر القلزم: البحر الأحمر .

بحر الزنج: كانت الكلمة تطلق على المحيط الهندى فى الجزء المواجه لشرق أفريقيا وجنوب شرقها .

بحر بُنْطس: بالسين المهملة كلمة يونانية معناها البحر الذى منه خليج القسطنطينية ، ثم يمتد إلى الغرب والجنوب حتى يتصل ببحر الشام ، وينطقها كثيرون بالشين المعجمة .

بَذَخْشَان: بلد فى أعلى طخارستان ، متاخمة لبلاد الترك ، بينها وبين بلخ ثلاث عشرة مرحلة وكان بها رباط بنته السيدة زبيدة زوج الرشيد ، وأم الأمين ، وبها كثير من الأحجار الكريمة والمعادن النادرة .

بَرْغَش: قرية قرب طليطلة بالأندلس .

بِسْطَام: بلدة كبيرة على الطريق إلى نيسابور بعد دامغان ، ومنها الصوفى الزاهد « أبو زيد البسطامى » ويقال إن من خواصها أن لم ير بها عاشق قط ، وأن العاشق إذا دخلها وشرب من مائها زال العشق عنه . وتحكى عن مائها وهوائها طرائف عجيبة .

بَطَلْيُوس: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة غربى قرطبة ، وينسب إليها خلق كثير من العلماء .

بَلَاق: بلد فى آخر عمل الصعيد ، وأول النوبة ، كالحد بينهما.

بَلَرْم: أعظم مدينة فى جزيرة صقلية ، وقد تحدث ابن حوقل عنها كثيراً .

بَلَنْسِيَة: مدينة مشهورة بالأندلس ، برية بحرية ، ذات أشجار وأنهار ، وتعرف بمدينة التراب ، ويسمى أهلها « عرب الأندلس » ، ورد ذكرها كثيراً فى الشعر الأندلسى ومنه قول أبى العباس الزقاق :

كأن بلنسية كاعب ... وملبسها السندس الأخضر
إذا جئتها سترت وجهها ... بأكمامها فهى لا تظهر

بُنْت: بلد بالأندلس من ناحية بلنسية ينسب إليها الشاعر أبو عبد الله البنى البلنسى .

بُوشَنْج: بليدة نزهة خصيبة فى واد مشتجر من نواحى هراة ، ذكرها الداودى فى شعر له يخاطب أبا إسحاق الاسفراييني

رحلت إليك من بوشنج أرجو ... بك العز الذى لا يستضام

تَاجَرَة: بلدة صغيرة بالمغرب من ناحية هنين من سواحل تلمسان كان بها مولد عبد المؤمن بن على صاحب المغرب

تَادِلَة: من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس منها أبو عبد الله القرطبى الأديب الشاعر .

تَدْمُر: مدينة قديمة مشهورة فى برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام ، ويزعم قوم أنها مما بنته الجن ، وفى هذا يقول النابغة الذبيانى :

إلا سليمان إذ قال الإله له ... قم فى البرية فاحددها عن الفند
وخير الجن أنى قد أمرتهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد

تِرْمِذ: بفتح التاء وكسرها مدينة مشهورة على نهر جيحون واشتهر من رجالها أبو عيسى الترمذى الضرير صاحب الصحيح ، وأحد الأئمة المقتدى بهم فى علوم الحديث .

تُسْتَر: أعظم مدينة بخوزستان ، وكانت مخططة على شكل فرس ، كما خططت جند يسابور على شكل رقعة الشطرنج ، وبها قبر البراء بن مالك الأنصارى ، وينسب إليها سهل ابن عبد الله بن يونس بن عيسى التسترى شيخ الصوفية المعروف .

تَكْرُور: بلاد تنسب إلى قبائل من السودان فى أقصى جنوب المغرب .

تَيْمَاء: بلد صغير فى أطراف الشام يطل عليه « الأبلق الفرد » حصن السموءل بن عادياء اليهودى وكان أهلها قد صالحوا النبى (ص) سنة تسع على الجزية ، فلما أجلى عمر بن الخطاب اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم .

جبال القُفْص: وتسمى أيضاً « جبال القفس » بالسين المهملة وهى من جبال كرمان مما يلى البحر .

جبال الصَّمَّان: الصمان أرض غليظة دون الجبل فيها ارتفاع وقيعان واسعة ، وقيل : هو جبل القمان فى أرض تميم ، وبينه وبين البصرة تسعة أيام .

جِيرَفْتُ: مدينة بكرمان جليلة كبيرة بها نخل كثير وفواكه كثيرة إلا أنها شديدة الحر ويقول الاصطخرى: إن لأهلها سنة حسنة فهم لا يرفعون من تمورهم ما أسقطته الريح ، بل هو للصعاليك ، وربما كثرت الرياح فيصير فيها إلى الصعاليك أكثر مما صار إلى أربابها .

جوزَجان ، جُوزْجَانان: هما واحد ، وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وهى بين مرو الروذ وبلخ ، وبها قتل يحيى بن زيد بن على بن الحسين رضى الله عنه ، وينسب إليها جماعة كثيرة من العلماء . منهم أبو إسحاق السعدى الجوزجانى المذكور فى تاريخ دمشق . (١٤٩/٢) .

جَرْجَرَايَا: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى ، وممن ينسب إليها محمد بن الفضل الجرجرائى وزير المتوكل بعد ابن الزيات ، وقد ذكرها العمانى فى شعره إذ قال :

ألا يا حبذا يوماً جررنا ... ذيول اللهو فيه بجرجرايا

جَلُولَاء: على طريق خراسان ، وبها كانت الوقعة المشهورة للمسلمين على الفرس سنة ١٩ هـ ، وسميت جلولاء الوقيعة ، لما أوقع بهم المسلمون من القتل ، وفيها يقول القعقاع بن عمرو

ويوم جلولاء الوقيعة أفنيت ... بنو فارس لما حوتها الكتائب

جُنْدَيْسَابور: مدينة بخورستان بناها سابور بن أزدشير فنسبت إليه وقد افتتحها المسلمون سنة ١٩هـ فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى السنة التى تم فيها فتح نهاوند .

الجزيرة الخضراء: مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها من البر فى أفريقية سبته ، ولا يحيط بها البحر من جميع جهاتها ، وبهذا الاسم أيضاً جزيرة عظيمة بأرض الزنج يحيط بها البحر من كل جانب .

الجزائر الخالدات ، أو : جزر السعادة: يذكرها المنجمون فى كتبهم ، وهى عامرة فى اقصى المغرب فى البحر المحيط وكان بها مقام طائفة من الحكماء بنوا عليها قواعد علم النجوم .

جزيرة شَقْر: قال ياقوت : فى شرق الأندلس ، وهى أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماء ، وكان ابن عائشة الأندلسى كثيراً ما يقيم بها وفيها يقول :

فيا راكبا مستعجل الخطو قاصداً ... ألا عج بشقر رائحاً ومغاديا

جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام أول من عمرها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبى ، وينسب إليها طائفة من أئمة فقه الشافعية .

الحِيرَة: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له «النجف» وهى غير الحيرة : المحلة المشهورة بنيسابور والتى ينسب إليها كثير من المحدثين .

حَرَّان: مدينة عظيمة مشهورة كانت فى القديم عاصمة ديار مضر وهى على طريق الشام والروم ، وقد افتتحها المسلمون على يد عياض بن غنم فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وحران أيضاً قرية بغوطة دمشق ، وأخرى بحلب ، وثالثة ورابعة بالبحرين.

حُرَان: بالضم وتخفيف الراء : سكة معروفة بأصبهان ، وينسب إليها طائفة من العلماء .

الحِجْرُ: حجر الكعبة وهو ما تركت قريش فى بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة فسمى حجراً ، وكان ابن الزبير أدخله فى الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه حرفه عما كان عليه فى الجاهلية ؛ وفى الحجر قبر هاجر أم إسماعيل عليه السلام .

الْحَوْرَاءُ: قال القضاعى : كورة من كور مصر القبلية فى آخر حدودها من جهة الحجاز على شاطئ البحر الأحمر ؛ وقيل : مرفأ سفن مصر إلى المدينة .

حَازَر: مكان بين نهر أربل والموصل ، ثم بين الزاب الأعلى والموصل ، وهو موضع كانت عنده واقعة بين عبيد الله بن زياد ومالك بن الأشتر النخعى فى أيام المختار ، ويومها قتل ابن زياد وذلك سنة ٩٩ للهجرة .

خُونَجَان: قرية من قرى أصبهان منها أبو محمد بن أبى نصر بن إبراهيم الخونجانى .

خُوزِسْتَان: مكان يتاخم تستر وجنديسابور من ناحية ، ويتاخم دجلة وأرض العراق من ناحية وأرضها أشبه بأرض العراق وهوائها ، وخوزستان اسم لجميع بلاد « الخوز » وكلمة « استان » فيها كياء النسب فى العربية ، وقد تحدث ياقوت الحموى كثيراً عن أهلها فى معجمه .

الخُتَّل: كورة واسعة على تخوم السند ، قال ياقوت « هى أجمل من صنانيان وأوسع خطة وأكبر مدناً وأكثر خيراً ، وينسب إليها قوم من أهل العلم منهم : عباد بن موسى الختلى وابنه إسحاق وغيرهما .

دَرَن: من جبال البربر بالمغرب فيه عدة قبائل وبلدان وقرى.

دَهْلَك: اسم أعجمى معرب ويقال له دهيك أيضاً وهى جزيرة فى بحر اليمن ، وكانت المرسى بين بلاد اليمن والحبشة وهى بلاد ضيقة حارة ، حرجة ولذا كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها .

دِيَارُبَكر: بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط ، وحدها — كما ذكر ياقوت — ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ، ومنه حصن كيفا وآمد ، وميافارقين .

دُومَةُ الْجَنْدَل: بضم الدال ، ويفتحها بعضهم وأنكره ابن دريد ، وعده من أغلاط المحدثين ووردت فى حديث الواقدى بلفظ « دوماء الجندل » وهى على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة المنورة وسميت بذلك لأن حصنها مبنى بالجندل ، ويعرف حصنها باسم « مارد » وهو حصن الأكيدر بن عبد الملك السكونى . الذى أسره خالد بن الوليد وافتتح دومة الجندل عنوة سنة تسع من الهجرة ، فأطلقه الرسول وصالحه وآمنه ثم نقض الصلح بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

رَامَهُرْمز: من مدن خوزستان تجمع النخل والجوز والأترنج ، وتسميها العامة « رامز » اختصاراً ، وقد ورد ذكرها فى شعر ورد بن الورد الجعدى إذ قال :

أمغتربا أصبحت فى رامهرمز ... ألا كل كعبى هناك غريب

الرَّقَّة: وأصله كل أرض إلى جنب واد منبسط عليها الماء وجمعها رقاق ، وهى مدينة مشهورة على نهر الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام ، ويقال لها الرقة البيضاء ، وقد ورد ذكرها فى شعر سهيل بن عدى ، وعبيد الله بن قيس الرقيات ، وفى وصفها يقول ربيعة الرقى :

حبذا الرقة داراً وبلد ... بلد ساكنه من تود
ما رأينا بلدة تعدلها ... لا ولا أخبرنا عنها أحد

رُمّ: قيل : بئر بمكة ، ورم بالكسر ما فى البئر ، ورم بالفتح اسم مواضع بفارس هى أماكن للأكراد على ما ذكره : ياقوت

الرُّهَا: وتمد فيقال : الرهاء مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام . سميت باسم الذى استحدثها وهو الرهاء ابن سند بن مالك . وقد ذكرها ابن مقبل فقال :

رهاوية مترع دونها ... ترجع من عود وعس مرن

رُوزَان: بليدة قريبة من أبرقوية بأرض فارس ، وأيضاً قرية من قرى خوارزم .

الزَّاب : أنهر بالعراق يحمل كل منها هذا الاسم وتنسب إلى من حفرها قديماً وهو على ماذكره ياقوت : زاب ابن توكان ، ومنها الزاب الأعلى ، والزاب الأسفل ، وعلى كل نهر منها قرى تسمى زابات . و « يوم الزاب » مشهور كان بين مروان « الملقب » بالحمار آخر الأمويين وبين بنى العباس وكان على « الزاب الأعلى » بين الموصل وإربل .

زَغَاوَةُ : قيل جنس من السودان ، وقيل : بلد فى جنوبى أفريقية بالمغرب ، ويقال إنه كانت للزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان فى جهة الشرق منها مملكة النوبة .

سَابُور : مدينة تحمل اسم سابور الملك الذى ابتناها ، وبينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخاً ، وكانت للمهلب بن أبى صفرة وقائع مع الخوارج ذكرها الشعراء ومنهم كعب الأشقرى إذ قال :

تساقوا بكأس الموت يوماً وليلة بسابور حتى كادت الشمس تطلع

وبالبحرين أيضاً موضع يسمى « سابور » فتح على يد العلاء ابن الحضرمى .

سَالِم : مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة ، وكان طارق ابن زياد لما افتتح الأندلس ألفاها خراباً فعمرها .

سِجِلْمَاسَة : مدينة فى جنوب المغرب ، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب ، وهى عند نهاية جبال درن .

سِجِسْتَان : أطال ياقوت الحديث عنها فى معجمه فليراجع .

سَرَخْس : مدينة كبيرة من نواحى خراسان بين نيسابور ومرو ، وقد نسب إليها طائفة من الأئمة فى الفقه والحديث ، والقراءات .

سَرْدَانِيَةَ : جزيرة فى بحر المغرب كبيرة . غزاها المسلمون وملكوها سنة ٩٢ هـ فى عسكر موسى بن نصير ، ويقال : إنها مدينة بصقلية .

السُّوس : بلدة بخوزستان يقال إن بها قبر النبى دانيال ، وأنها كانت آخر ما فتح من الأهواز على عهد عمر .

سَرَقُوسَةَ : مدينة بجزيرة صقلية كان بها قديماً عرش ملك الروم ، ذكرها ابن قلاقس فقال فى شعره : فى وصف صقلية :

وتكفلت سرقوسة بأماننا فى ملجأ للخائفين أمين

سَرُوج : بلدة قريبة من حران من ديار مضر فتحها صلحاً «عياض بن غنم سنة ١٧هـ على عهد عمر رضى الله عنه» . وهى التى ذكرها الحريرى على لسان أبى زيد السروجى فى مقاماته .

سُفَالَة : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج ، وتعرف عند التجار قديماً بذهبها السفالى .

سُمَيْسَاط : مدينة على شاطئ الفرات ، وينسب إليها السميساطى المعروف بالحميش ، وقد ذكرها المتنبى فقال :

ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهولة وهواجل

شَاطِبَة : مدينة فى شرق الأندلس شرق قرطبة ، وينسب إليها طائفة كبيرة من العلماء .

شَرِيش : مدينة كبيرة من أعمال شذونة بالأندلس وتسمى أيضاً شرش .

شَقُّورة : مدينة بالأندلس شمالى مرسية تنسب إليها أبو الاصبغ عبد العزيز بن على الغافقى الشقورى الفقيه الحافظ .

شِيرَاز : بلد عظيمة مشهورة كانت عاصمة فارس وقد أطال فى وصفها والحديث عنها ياقوت فى معجمه .

الصُّغْد : قال ياقوت : هى كورة عجيبة قصبتها (عاصمتها) سمرقند ، وقد نسب إليها طائفة من أهل العلم .

صِفِّين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربى وكانت بها الوقعة المشهورة بين على رضى الله عنه ومعاوية سنة ٣٧ هـ .

طَرَاز : بلد قريب من أسبيجاب من ثغور الترك ، وينسب إليه طائفة من المحدثين والعلماء .

طَلَيْطِرَة : مدينة بالأندلس من أعمال طليطلة ، وقد عمرها وجددها عبد الرحمن الناصر .

العُرُوش : دار العروش قرية ؛ أو ماء باليمامة كما نقل ياقوت عن أبى حفصة .

غَافِقٌ : حصن بالأندلس من أعمال « فحص البلوط »

غُدَامس : ذكر ياقوت أنها مدينة بالمغرب فى جنوبيه تدبغ فيها الجلود الغدامسية .

قنطرة السيف : بالأندلس وينسب إليها ابن القنطرى ، ذكره ابن بشكوال .

مَرْو الشَّاهِجَان : هى مرو العظمى أشهر مدن خراسان ، وعاصمتها القديمة ، ذكره الحاكم أبو عبد الله فى « تاريخ نيسابور » والنسبة إليها مروزى .

مَرْو الرُّوذ : مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، على نهر عظيم سميت به ، والنسبة إليها مرورذى ، ومروذى ، وبها مات المهلب بن أبى صفرة .

مُكْرَان : وأكثر ما نجده فى شعر العرب مشددة وهى التى يقول فيها عمرو بن معد يكرب :

قوم هم ضربوا الجبابر إذ بغوا بالمشرفية من بنى ساسان
حتى استبيح قرى السواد وفارس والسهل والأجبال من مكران

هَرَاة : قال ياقوت : مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان محشوة بالعلماء ، مملوءة بأهل الفضل والثراء .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَنِيِّ بِلُطْفِهِ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ خَلْدُونَ الْحَضْرَمِيُّ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى .

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَهُ الْعِزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ * وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ * وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالنُّعُوتُ الْعَالِمِ فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ مَا تُظْهِرُهُ النَّجْوَى أَوْ يُخْفِيهِ السُّكُوتُ * الْقَادِرُ فَلَا يُعْجِزُهُ شَىْءٌ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَفُوتُ * أَنْشَأَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَسَمًا وَاسْتَعْمَرَنَا فِيهَا أَجْيَالاً وَأُمَمًا * وَيَسَّرَ لَنَا مِنْهَا أَرْزَاقًا وَقِسَمًا * تَكَنُفُنَا الْأَرْحَامُ وَالْبُيُوتُ * وَيَكْفُلُنَا الرِّزْقُ وَالْقُوتُ * وَتُبْلِينَا الْأَيَّامُ وَالْوُقُوتُ * وَتَعْتَوِرُنَا الْآجَالُ الَّتِى خَطَّ عَلَينا كِتَابُهَا الْمَوْقُوتُ * وَلَهُ الْبَقَاءُ وَالثُّبُوتُ * وَهُوَ الْحَىُّ الَّذِى لَا يَمُوتُ * وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ النَّبِىِّ الْأُمِّىِّ الْعَرَبِىِّ الْمَكْتُوبِ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ الْمَنْعُوتِ * الَّذِى تَمَخَّضَ لِفِصَالِهِ الْكَوْنُ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْآحَادُ وَالسُّبُوتُ * وَيَتَبَايَنَ زَحَلُ وَالْيَهَمُوتُ (١) وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَهُمْ فِى مَحَبَّتِهِ وَأَتْبَاعِهِ الْأَثَرُ الْبَعِيدُ وَالصِّيتُ * وَالشَّمْلُ الْجَمِيعُ فِى مُظَاهَرَتِهِ وَلِعَدُوِّهِمِ الشَّمْلُ الشَّتِيتُ * صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَا اتَّصَلَ بِالْإِسْلَامِ جَدُّهُ الْمَبْخُوتُ * وَانْقَطَعَ بِالْكُفْرِ حَبْلُهُ الْمَبْتُوتُ * وَسَلَّمَ كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ مِنَ الْفُنُونِ الَّتِى تَتَدَاوَلُهَا الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ * وَتَشُدُّ إِلَيْهِ الرَّكَائِبُ وَالرِّحَالُ * وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ السُّوقَةُ وَالْأَغْفَالُ * وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ * وَيَتَسَاوَى فِى فَهْمِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَّالُ * إِذْ هُوَ فِى ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى إِخْبَارٍ عَنِ الْأَيَّامِ وَالدُّوَلِ * وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُوَلِ * تَنْمُو فِيهَا الْأَقْوَالُ * وَتُضْرَبُ فِيهَا الْأَمْثَالُ * وَتُطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَصَّهَا الْاحْتِفَالُ * وَتُؤَدِّى إِلَيْنَا شَأْنَ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ وَاتَّسَعَ لِلدُّوَلِ فِيهَا النِّطَاقُ وَالْمَجَالُ * وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمُ الارْتِحَالُ وَحَانَ مِنْهُمُ الزَّوَالُ * وَفِى بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ ، وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ وَمَبَادِيهَا دَقِيقٌ ، وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ * فَهُوَ لِذٰلِكَ أَصِيلٌ فِى الْحِكْمَةِ عَرِيقٌ ، وَجَدِيرٌ بِأَنْ يُعَدَّ فِى عُلُومِهَا وَخَلِيقٌ * وَإِنَّ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ فِى الْإِسْلَامِ قَدِ اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا * وَسَطَّرُوهَا فِى صَفَحَاتِ الدَّفَاتِرِ وَأَوْدَعُوهَا * وَخَلَطَهَا الْمُتَطَفِّلُونَ بِدَسَائِسَ مِنَ الْبَاطِلِ وَهِمُوا فِيهَا أَوِ ابْتَدَعُوهَا * وَزَخَارِفَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُضْعَفَةِ لَفَّقُوهَا وَوَضَعُوهَا * وَاقْتَفَى

---

(١) فى هامش الأصل : اليهموت هو النون أى الحوت ويسمى أيضاً لوتيا كما فى المزهر وروح البيان . ومعلوم أن بينه وبين زحل الذى هو فى الفلك السابع بوناً بعيداً . وقال الشهاب الخفاجى فى حاشيته على البيضاوى فى أول سورة نون : اليهموت بفتح المثناة التحتية وسكون الهاء . وما اشتهر من أنه بالباء الموحدة غلط على ومثله فى روح البيان ا . هـ

تِلْكَ الْآثَارَ الْكَثِيرَ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ وَاتَّبَعُوهَا * وَأَدَّوْهَا إِلَيْنَا كَمَا سَمِعُوهَا * وَلَمْ يُلَاحِظُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يُرَاعُوهَا * وَلَارَفَضُوا تُرَّهَاتِ الْأَحَادِيثِ وَلَا دَفَعُوهَا * فَالتَّحْقِيقُ قَلِيلٌ * وَطَرْفُ التَّنْقِيحِ فِى الْغَالِبِ كَلِيلٌ * وَالْغَلَطُ وَالْوَهْمُ نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ * وَالتَّقْلِيدُ عَرِيقٌ فِى الْآدَمِيِّينَ وَسَلِيلٌ * وَالتَّطَفُّلُ عَلَى الْفُنُونِ عَرِيضٌ وَطَوِيلٌ * وَمَرْعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَبَيِلٌ * وَالْحَقُّ لَايُقَاوَمُ سُلْطَانُهُ * وَالْبَاطِلُ يُقْذَفُ بِشِهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانُهُ * وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ يُمْلِى وَيَنْقُلُ * وَالْبَصِيرَةُ تَنْقُدُ الصَّحِيحَ إذا تَمْقُل(١) * وَالْعِلْمُ يَجْلُو لَهَا صَفَحَاتِ الْقُلُوبِ وَيَصْقُلُ .

هٰذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِى الْأَخْبَارِ وَأَكْثَرُوا * وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ وَالدُّوَلِ فِى الْعَالَمِ وَسَطَّرُوا * وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ وَالْأَمَانَةِ الْمُعْتَبَرَةِ * وَاسْتَفْرَغُوا دَوَاوِينَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِى صُحُفِهِمِ الْمُتَأَخِّرَةِ * هُمْ قَلِيلُونَ لَا يَكَادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الْأَنَامِلِ * وَلَا حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ * مِثْلُ ابْنِ إِسْحٰقَ وَالطَّبَرِىِّ وَابْنِ الْكَلْبِىِّ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِىِّ ، وَسَيْفِ ابْنِ عُمَرَ الْأَسَدِىِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ الْمُتَمَيِّزِينَ عَنِ الْجَمَاهِيرِ * وَإِنْ كَانَ فِى كُتُبِ الْمَسْعُودِىِّ وَالْوَاقِدِىِّ مِنَ الْمَطْعَنِ وَالْمَغْمَزِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ * وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحَفَظَةِ الثِّقَاتِ * إِلَّا أَنَّ الْكَافَّةَ اخْتَصَّتْهُمْ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ * وَاقْتِفَاءِ سُنَنِهِمْ فِى التَّصْنِيفِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ * وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ قِسْطَاسُ نَفْسِهِ فِى تَزْيِيفِهِمْ فِيمَا يَنْقُلُونَ أَوِ اعْتِبَارِهِمْ * فَلِلْعُمْرَانِ طَبَائِعُ فِى أَحْوَالِهِ تُرْجَعُ إِلَيْهَا الْأَخْبَارُ * وَتُحْمَلُ عَلَيْهَا الرِّوَايَاتُ وَالْآثَارُ *

ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ لِهٰؤُلَاءِ عَامَّةُ الْمَنَاهِجِ وَالْمَسَالِكِ * لِعُمُومِ الدَّوْلَتَيْنِ صَدْرَ الْإِسْلَامِ فِى الْآفَاقِ وَالْمَمَالِكِ * وَتَنَاوُلِهَا الْبَعِيدَ مِنَ الْغَايَاتِ فِى الْمَآخِذِ وَالْمَتَارِكِ * وَمِنْ هٰؤُلَاءِ مَنِ اسْتَوْعَبَ مَا قَبْلَ الْمِلَّةِ مِنَ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ * وَالْأَمْرِ الْعَمَمِ * كَالْمَسْعُودِى وَمَنْ نَحَا مَنْحَاهُ . وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ عَدَلَ عَنِ الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ * وَوَقَفَ فِى الْعُمُومِ وَالْإِحَاطَةِ عَنِ الشَّأْوِ الْبَعِيدِ * فَقَيَّدَ شَوَارِدَ عَصْرِهِ * وَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أُفْقِهِ وَقُطْرِهِ * وَاقْتَصَرَ عَلَى تَارِيخِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ * كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانَ مُؤَرِّخُ الْأَنْدَلُسِ وَالدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِهَا ، وَابْنُ الرَّقِيقِ مُؤَرِّخُ أَفْرِيقِيَّةَ وَالدَّوْلَةِ الَّتِى كَانَتْ بِالْقَيْرَوَانِ .

ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ هٰؤُلَاءِ إِلَّا مُقَلِّدٌ * وَبَلِيدُ الطَّبْعِ وَالْعَقْلِ أَوْ مُتَبَلِّدٌ * يَنْسِجُ عَلَى ذٰلِكَ الْمِنْوَالِ * وَيَحْتَذِى مِنْهُ بِالْمِثَالِ * وَيَذْهَلُ عَمَّا أَحَالَتْهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ * وَاسْتَبْدَلَتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ * فَيَجْلِبُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّوَلِ * وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِى الْعُصُورِ الْأُوَلِ * صُوَرًا قَدْ تَجَرَّدَتْ عَنْ مَوَادِّهَا * وَصِفَاحًا انْتُضِيتْ مِنْ أَغْمَادِهَا * وَمَعَارِفَ تُسْتَنْكَرُ لِلْجَهْلِ بِطَارِفِهَا وَتِلَادِهَا * إِنَّمَا هِىَ حَوَادِثُ لَمْ تُعْلَمْ أُصُولُهَا * وَأَنْوَاعٌ لَمْ تُعْتَبَرْ أَجْنَاسُهَا وَلَا تَحَقَّقَتْ فُصُولُهَا * يُكَرِّرُونَ فِى مَوْضُوعَاتِهِمُ الْأَخْبَارَ الْمُتَدَاوَلَةَ بِأَعْيَانِهَا * اتِّبَاعًا لِمَنْ عُنِىَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِشَأْنِهَا * وَيُغْفِلُونَ أَمْرَ الْأَجْيَالِ النَّاشِئَةِ فِى دِيوَانِهَا * بِمَا أُعْوِزَ عَلَيْهِمْ مِنْ تَرْجَمَانِهَا *

(١) مقله يمقله : نظر إليه وتامله .

فَتَسْتَعْجِمُ صُحُفُهُمْ عَنْ بَيَانِهَا * ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ الدَّوْلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسْقًا * مُحَافِظِينَ عَلَى نَقْلِهَا وَهْمًا أَوْ صِدْقًا * لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَايَتِهَا * وَلَا يَذْكُرُونَ السَّبَبَ الَّذِى رَفَعَ مِنْ رَايَتِهَا * وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا * وَلَا عِلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا * فَيَبْقَى النَّاظِرُ مُتَطَلِّعًا بَعْدُ إِلَى افْتِقَادِ أَحْوَالِ مَبَادِىءِ الدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا * مُفَتِّشًا عَنْ أَسْبَابِ تَزَاحُمِهَا أَوْ تَعَاقُبِهَا * بَاحِثًا عَنِ الْمُقْنِعِ فِى تَبَايُنِهَا أَوْ تَنَاسُبِهَا * حَسْبَمَا نَذْكُرُ ذٰلِكَ كُلَّهُ فِى مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ .

ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الِاخْتِصَارِ * وَذَهَبُوا إِلَى الِاكْتِفَاءِ بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْصَارِ * مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ * مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِحُرُوفِ الْغُبَارِ * كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ رَشِيقٍ فِى مِيزَانِ الْعَمَلِ * وَمَنِ اقْتَفَى هٰذَا الْأَثَرَ مِنَ الْهَمَلِ * وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لِهٰؤُلَاءِ مَقَالٌ * وَلَا يُعَدُّ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا انْتِقَالٌ * لِمَا أَذْهَبُوا مِنَ الْفَوَائِدِ * وَأَخَلُّوا بِالْمَذَاهِبِ الْمَعْرُوفَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ .

وَلَمَّا طَالَعْتُ كُتُبَ الْقَوْمِ * وَسَبَرْتُ غَوْرَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ * نَبَّهْتُ عَيْنَ الْقَرِيحَةِ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنَّوْمِ * وَسُمْتُ التَّصْنِيفَ مِنْ نَفْسِى وَأَنَا الْمُفْلِسُ أُحْسِنُ السَّوْمَ * فَأَنْشَأْتُ فِى التَّارِيخِ كِتَابًا * رَفَعْتُ بِهِ عَنْ أَحْوَالِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَجْيَالِ حِجَابًا * وَفَصَّلْتُهُ فِى الْأَخْبَارِ وَالِاعْتِبَارِ بَابًا بَابًا * وَأَبْدَيْتُ فِيهِ لِأَوَّلِيَّةِ الدُّوَلِ وَالْعُمْرَانِ عِلَلًا وَأَسْبَابًا * وَبَنَيْتُهُ عَلَى أَخْبَارِ الْأُمَمِ الَّذِينَ عَمَرُوا الْمَغْرِبَ فِى هٰذِهِ الْأَعْصَارِ * وَمَلَأُوا أَكْنَافَ الضَّوَاحِى مِنْهُ وَالْأَمْصَارِ * وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الدُّوَلِ الطِّوَالِ أَوِ الْقِصَارِ * وَمَنْ سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَنْصَارِ * وَهُمَا الْعَرَبُ وَالْبَرْبَرُ * إِذْ هُمَا الْجِيلَانِ اللَّذَانِ عُرِفَ بِالْمَغْرِبِ مَأْوَاهُمَا * وَطَالَ فِيهِ عَلَى الْأَحْقَابِ مَثْوَاهُمَا * حَتَّى لَا يَكَادُ يُتَصَوَّرُ فِيهِ مَا عَدَاهُمَا * وَلَا يَعْرِفُ أَهْلُهُ مِنْ أَجْيَالِ الْآدَمِيِّينَ سِوَاهُمَا * فَهَذَّبْتُ مَنَاحِيَهُ تَهْذِيبًا * وَقَرَّبْتُهُ لِأَفْهَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْخَاصَّةِ تَقْرِيبًا * وَسَلَكْتُ فِى تَرْتِيبِهِ وَتَبْوِيبِهِ مَسْلَكًا غَرِيبًا * وَاخْتَرَعْتُهُ مِنْ بَيْنِ الْمَنَاحِى مَذْهَبًا عَجِيبًا * وَطَرِيقَةً مُبْتَدَعَةً وَأُسْلُوبًا * وَشَرَحْتُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمْرَانِ وَالتَّمَدُّنِ وَمَا يَعْرِضُ فِى الِاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِىِّ مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّاتِيَّةِ مَا يُمْتِّعُكَ بِعِلَلِ الْكَوَائِنِ وَأَسْبَابِهَا * وَيُعَرِّفُكَ كَيْفَ دَخَلَ أَهْلُ الدُّوَلِ مِنْ أَبْوَابِهَا * حَتَّى تَنْزِعَ مِنَ التَّقْلِيدِ يَدَكَ * وَتَقِفَ عَلَى أَحْوَالِ مَا قَبْلَكَ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْأَجْيَالِ وَمَا بَعْدَكَ * وَرَتَّبْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَثَلَاثَةِ كُتُبٍ :

أَلْمُقَدِّمَةُ : فِى فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَالْإِلْمَاعِ بِمَغَالِطِ الْمُؤَرِّخِينَ .

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ : فِى الْعُمْرَانِ وَذِكْرِ مَا يَعْرِضُ فِيهِ مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّاتِيَّةِ مِنَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ * وَالْكَسْبِ وَالْمَعَاشِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَمَا لِذٰلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَسْبَابِ .

الْكِتَابُ الثَّانِى : فِى أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَجْيَالِهِمْ وَدُوَلِهِمْ مُنْذُ مَبْدَإِ الْخَلِيقَةِ إِلَى هٰذَا الْعَهْدِ . وَفِيهِ الْإِلْمَاعُ بِبَعْضِ مَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَشَاهِيرِ وَدُوَلِهِمْ * مِثْلِ النَّبَطِ وَالسِّرْيَانِيِّينَ وَالْفُرْسِ وَبَنِى إِسْرَائِيلَ وَالْقِبْطِ وَالْيُونَانِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالْإِفْرَنْجَةِ .

الْكِتَابُ الثَّالِثُ : فِى أَخْبَارِ الْبَرْبَرِ وَمَوَالِيهِمْ مِنْ